وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الرابع

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778358

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الرابع، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١.الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٤) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

أهميَّةُ التوظيفِ القرآنيِّ في خطبِ أميرِ الؤمنينَ عليه السلام ١١

م . د. فراس عبدالخالق منديل الغانمي/ م. م. هبه قاسم زويد الموسوي

الأبعادُ القرآنيَّةُ للعدالةِ والتوسعةِ الاقتصاديَّةِ في سيرةِ أميرِالمؤمنينَ عليه السلام ٣٥

الدكتور مصطفى الغفوريّ

النَّهْجُ القُرْآنيُّ للإمَامِ عليّ بن أبِي طَالب عليه السلام في التَّسَامُحِ والإصْلَاحِ السِّيَاسيِّ وأَثَرُهُ في المُجْتَمَعِ الإسْلاَمِيِّ ٥٩

د. عادل محمّد زيادة البهيّ

أسبابُ اختلافِ الحديثِ في روايةِ الإمام عليّ عليه السلام ٩٥

د. حميد البغدادي

أثرُ الخطابِ القرآنيّ في التّربيةِ العقليّةِ والنّفسيّةِ عند أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (كتابُ نهجِ البلاغةِ أنموذجًا) ١٢٣

د. ريما حسين أمهز

الآياتُ القرآنيّةُ المصاحبةُ للتُّحفِ الأثريّةِ التي تحمل اسم الإمام عليّ عليه السلام (دراسة في الشكل والمضمون) ١٥٥

د. عبد الحميد عبد السلام أبوعِليو

منهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في الحكم وإدارة البلاد..... ٢١٧

د. منى حسن خازم

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في العلوم الإنسانية (الفنون والرسم) لوحات الفنان الإيراني حسن روح الأمين أنموذجًا دراسة تحليلية ٢٤١

د. نجلاء حسين الصراف

الأثرُ القرآني لأميرِ المؤمنين عليه السلام في العلوم النفسيّة والتربويّة (شخصيّة المنافقين أسبابٌ ومعالجاتٌ)..... ٢٦٧

د. وفاء كاظم جبار

التفسيرُ القرآنيّ للإمامِ عليّ عليه السلام وانعكاساتُه في خطبِه ورسائلِه السياسيّة -دراسة تحليليّة- ٢٩٧

م. د خديجة حسن علي القصير

تَوْظِيفُ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ فِي نظم نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وأَثَرُه في دِرَاسَةِ الإيقَاع الصَّوْتِيَّ وموسيقى الصُّورَةِ الصَّوْتِيَّةِ ٣١٩

م. د دُرَيد عبْد الله يُوسُف

دورُ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام في تنميةِ مهاراتِ التواصلِ الاجتماعيِّ لدى الأطفالِ من وجهةِ نظرِ أفرادِ المجتمعِ العراقيِّ ٣٥٩

م.د. هيفاء محمود الأشقر

مفاتيحُ الإدارةِ في الرؤيةِ القرآنيّة العلويّة ٣٩١

د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم

النظامُ الاقتصاديُّ في عصرِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عليه السلام مرجعيّاتُه القرآنيّةُ ٤١٧

د. رحاب حسين جبار إبراهيم الزغير

التربيةُ في فكرِ الإمامِ عليّ عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ..... ٤٤٩

د. فاطمة مهدي البزال

مروياتُ أمير المؤمنين عليه السلام وفقهه في كتب الحديث دراسة نقدية - صحيح البخاري أنموذجًا ٤٧٧

السيّد الدكتور عبد الستار الجابري

أثرُ أميرِ المؤمنين عليه السلام القرآني في العلوم الإسلاميّة علوم القرآن الكريم أنموذجًا ... ٥١٩

الدكتور ليث عبد الحسين فرحان العتابي

شذراتٌ تربويّة بين الخطاب القرآني وفكر الإمام عليّ عليه السلام ٥٥٣

م.د. براء علاء عبدالحسين الركابي/ م. م. أياد حسن كاظم العبدالله الحوزي

أثرُ الخطابِ القرآنيّ في التّربيةِ العقليّةِ والنّفسيّةِ عند أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (كتابُ نهجِ البلاغةِ أنموذجاً)

د. ريما حسين أمهز
الجامعة اللّبنانيّة/ كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

الملخّص:

لا شكّ أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان في طليعة من قيّم القرآن الكريم وأشاد بفضله وعظيم منزلته، ووعى الوعي الكامل والتّدبّر التّام لكلّ ما فيه من العلوم والمعارف والدّقائق والحقائق والأسرار، فاهتمّ بتفسير آياته وبيان محتوياته، وسارع إلى إرشاد العقول إلى سننه وتعاليمه وأحكامه وقوانينه ومفاهيمه، فزخر كتاب نهج البلاغة بالمعارف والكنوز والفيوضات القرآنيّة الّتي انطلق منها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام للقيام بدوره الإيماني في الحياة، الّذي تمثّل فيما تمثّل فيه بتكوين أجيال مؤمنة تحمل الرّسالة إلى العالم باستمرار، فحرص على تقويم السّلوك الإنساني، وتربية الفرد والأمّة وحملهم على خلائقه المثلى، والمحجّة البيضاء، وسوقهم إلى الحقّ والهدى على صراط مستقيم.

من هنا جاء هذا البحث للإضاءة على دور الإمام عليّ عليه السلام في بناء شخصيّة الفرد الإنسانيّة الرّساليّة في أبعادها العقليّة والنّفسيّة لكي يصل به إلى الكمال والاستقرار والرّقيّ وذلك من خلال مبادئ وأسس متينة من شأنها أن تسهم في بناء

الإنسان الصّالح وتنتهي به إلى الخروج من الدّنيا بأوفر زاد للآخرة.

الكلماتُ المفتاحيّة: الخطابُ القرآني، التّربية العقليّة والنّفسيّة، نهج البلاغة.

Summary:

There is no doubt that Imam Ali (peace be upon him) was at the forefront of the values of the Holy Quran and praised its virtue and great status، and was fully aware and fully contemplated all the sciences، knowledge، details، facts and secrets in it، so he was interested in interpreting its verses and explaining its contents، and he hastened to guide minds to its laws، teachings، rulings، laws and concepts. The book Nahj al-Balagha was filled with Quranic knowledge، treasures and bounties from which Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) set out to carry out his faith-based role in life، which is represented in what is represented in it by forming generations of believers who carry the message to the world continuously، so he was keen to correct human behavior، educate the individual and the nation and carry them on his ideal morals، the white path، and lead them to the truth and guidance on a straight path. Hence، this research came to shed light on the role of Imam Ali (PBUH) in building the individual's human and missionary personality in its mental and psychological dimensions in order to reach perfection، stability and advancement through solid principles and foundations that would contribute to building the righteous person and end with him leaving this world with the most abundant provisions for the hereafter.

Keywords: Qur'anic discourse، intellectual and psychological education، Nahj al-Balagha.

المقدّمة

لقد خلق اللّه سبحانه وتعالى الإنسان، وزوّده بالعقل، وأعانه بما أفاض عليه من معين هدايته، فعلّمه ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللّائق به، وعرّفه الغاية الّتي خلقه من أجلها وجاء به إلى هذه الدّنيا من أجل تحقيقها. فأنزل القرآن تبيانًا وهدى ورحمة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وأحكم آياته وفصّل أحكامه وجعله لكتبه خاتمًا وعليها مهيمنًا، تحدّى به الفصحاء فأُلجموا، وسمعه البلغاء فأُفحموا، وشهدوا له بالحلاوة؛ لأنّه بحر لا يدرك غوره ولا تنفد درره ولا تفنى عجائبه ولا تقلع عن الغيث المدرار سحائبه ولا تنقضي آياته، فهو كتابه الخالد، ودستوره التّالد، أنزله على قلب سيّد المرسلين؛ ليكون معجزته الباقية ونعمته السّابغة وحجّته الدّامغة؛ وليبثّ أضواءه السّنية في هذا الوجود ويكون هداية للحياة كلّها، فصرّفه وعدًا ووعيدًا، وأمرًا ونهيًا، وتشريفًا وسياسة، وحكمة وعلمًا، ورحمة وعدلًا، فتجلّى إرشادًا لمحجّة، وتبصرة لعبرة، وتذكرة لمعرفة، وحثًّا على تقى، وحياة للقلب، وغذاءًا للرّوح، ودواءًا وشفاءً وعصمة ونجاة... فمن استهدى به هُدي، ومن هجره إعراضًا عنه ضلّ ضلالًا مبينًا، ولا يضلّ هداه إلّا من ختم اللّه على قلبه وسمعه، وجعل الغشاوة على بصره.

إذًا فالنّصّ القرآني هو معجزة إلهيّة تتناسب مع الرّسالة العالميّة الشّاملة الموجّهة للنّاس جميعًا، إذ تختلف عن معجزات الرّسل والأنبياء السّابقين الّتي انتهت بانتهاء عصرهم؛ لذلك جاء الخطاب القرآني موجّهًا للعقل وحاضًّا على التّفكر والتّدبّر والتّعقّل والتّفقّه، يخاطب عقول النّاس جميعًا، كي يبني العقيدة الصّحيحة الّتي تملأ جوانب النّفس البشريّة بالإيمان الصّحيح، ويصقلها بمكارم الأخلاق ومحاسن الفضائل، ويعمل على تهذيبها وتوجيهها وتربيتها وإصلاحها كي تستحقّ أن

تكون خليفة اللّه على الأرض وتنتهي به إلى الخروج من الدّنيا بأوفر زاد للآخرة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام علي عليه السلام هو بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله سيّد أهل بيت الوحي وزعيمهم، وأوّل من عرف القرآن وتمسّك به، وفسّره ووقف على محتوياته، ووعى الوعي الكامل، والتّدبّر التّامّ لكلّ ما فيه من العلوم والمعارف والدّقائق والحقائق والأسرار، وقد استمدّ تفسيره من أخيه وابن عمّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله الّذي علّمه تأويل آياته وأحاطه علمًا بتفسير كلّ آية نزلت عليه، وهذا ما أعلن عنه الإمام عليه السلام بقوله: (وكنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ يوم دخلة، وكلّ ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيثما دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من النّاس غيري فما نزلت عليه آية من القرآن إلّا اقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي ودعا الله أن يُفهّمني إيّاها ويحفظني فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلّمني تأويلها فحفظته وأملاه عليّ فكتبته))[1]، وكذلك بقوله عليه السلام : ((واللّه ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت، إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا طلقًا))[2].

هذا التّلاحم والتّلاؤم بين الإمام عليّ عليه السلام والقرآن الكريم الذي عبّر عنه رسول اللّه صلى الله عليه وآله بقوله: ((عليّ مع القرآن والقرآن معه، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض))[3]، جعل من الإمام عليه السلام ترجمان القرآن وصداه، فانعكست مفاهيمه ومبادؤه على أفكار أمير المؤمنين عليه السلام ، وبرزت في سلوكه وأقواله وأفعاله وحكمه ومواعظه، ولو تتبّعنا خطب الإمام عليه السلام وأقواله في كتاب نهج البلاغة الذي هو في الحقيقة تفسير وتوضيح للقرآن لوجدنا أنّها جواهر فريدة قابلة للقراءة واستمداد الرّؤى والتّصوّرات

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢/ ٦٢٤.
(٢) تفسير القمّي: ١/ ٢٠.
(٣) المستدرك على الصحيحين: رقم الحديث: ٤٦٢٨ .

المختلفة في شؤون الحياة كافّة، وقد صيغت بفصاحة وبلاغة وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لتحقيق أهداف القرآن الكريم وترسيخ مبادئه.

من هنا جاء هذا البحث؛ ليُجلّي بريق ناحية من هذه النّواحي الخارقة في نهج البلاغة؛ لأنّ استقصاء مختلف الشّؤون ومتنوّع الأغراض هو أبعد من أن يحصى وأنأى من أن يستقصى، فاقتصرنا في هذا البحث على الاستفادة من فكر الإمام عليه السلام في محاولته لتأسيس فهم تربوي أصيل بالاستناد إلى القرآن الكريم قادر على بناء جيل صالح، على أسس صحيحة وسليمة وهادفة من القيم الإنسانيّة والمعايير العقليّة والنّفسيّة؛ وذلك للسّير به على طريق التّكامل الرّوحي والمادّي وتفعيل وجوده الحيّ الفعّال والمنتج؛ وضمان سعادته في الدّنيا، كمقدّمة لسعادته في الآخرة.

ولذلك تمحورت إشكاليّة البحث في هذه الدّراسة، حول الإجابة عن السّؤال الآتي:

-ما هي الأساليب التّربويّة الّتي اعتمدها الإمام عليّ عليه السلام لبناء الشّخصيّة الإنسانيّة المثاليّة بأبعادها العقليّة والنّفسيّة بالاستناد إلى القرآن الكريم كما ورد في نهج البلاغة؟

وللإجابة عن هذا السّؤال، رأيت أن أصدّر للبحث بمقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة. ذكرت في المقدّمة أهمّيّة الموضوع وأسباب اختياره، وكان المبحث الأوّل مهادًا نظريًّا عرضت فيه مفهوم التّربية في اللغة والاصطلاح، وكذلك تعرّضت إلى معناها ومفهومها في نهج البلاغة. وتناولت في المبحث الثّاني الأساليب التّربويّة الّتي اعتمدها الإمام عليه السلام في التّنمية العقليّة، وأشرت في المبحث الثّالث إلى الأساليب المتعلّقة بالتّربية النّفسيّة الّتي تبني شخصيّة الإنسان المثالي مثلما كان يصبو إليه الإمام عليه السلام ، أمّا الخاتمة فقد كانت لذكر أهمّ النّتائج الّتي توصّل إليها البحث.

المبحث الأوّل: مهادٌ نظري

أوّلًا: مفهوم التّربية:

عند الحديث عن التّربية، لا بدّ لنا من أن نتطرّق إلى المدلول اللّغوي لهذه الكلمة، ثمّ نعرض لتعريفات بعض التّربويّين الّذين اختلفت تعريفاتهم وفاقًا لاختلاف وجهات نظرهم ورؤاهم الفلسفيّة، لنصل بعدها إلى معنى ومفهوم التّربية في نهج البلاغة.

أ- المدلول اللّغويّ:

التّربية في اللّغة ((مأخوذة من ربّى ولده، والصّبيّ يربّه، ربّاه، أي: أحسن القيام عليه حتى أدرك))[١]. وتعني الزّيادة والنّشأة والتّغذية والرّعاية والمحافظة والتّنمية، و((أصل هذه الكلمة من الفعل (رَبَوَ)، أي: زاد ونما))[٢]. و((ربا الجرح: ورم؛ وزبد رابٍ: منتفخ. وتستعمل مجازًا بمعنى التّهذيب وعلوّ المنزلة، فيقال: فلان في رباوة قومه، أي: في أشرافهم. وفي القرآن الكريم ﴿ويُرْبِي الصّدَقات﴾ [البقرة:٢٧٦]، أي: يزيدها ويضاعفها))[٣]. و((تربّى: تنشّأ وتقوّى وتثقّف))[٤].

وقد اشتقّت هذه الكلمة أيضًا من ((ربّ وليس ربا: ربّ ولده، والصّبي يربّه (ربّاه) أي: أحسن القيام به حتّى أدرك وربّ القوم أي: ساسهم))[٥]. و((لك نعمة تربها، أي: تحفظها وتراعيها وتربّيها كما يربّي الرّجل ولده. وتربّاه: أحسن القيام عليه ووليّه حتّى يفارق الطّفوليّة كان ابنه أو لم يكن))[٦].

---

(١) النظام التربوي في الإسلام:٤١.

(٢) المنجد في اللّغة: ٢٤٧.

(٣) أساس البلاغة: ٢١٩.

(٤) المعجم الوسيط: ٣٢٦.

(٥) تاج العروس:٢٦١.

(٦) لسان العرب:٤٠١.

وقد استعمل في معنى فعل يربّي إلى جانب يتعهّد، يعتني، يزيد... ((فعل (يدجّن) أي: يجعل شيئًا ما أليفًا))[١].

ويرى الرّاغب الأصفهاني أنّه نظرًا إلى الجذرَين اللّغويّين لكلمة تربية، فإنّ جذرها (رَبَوَ) يعني التّغذية والتّنمية بمفهوميهما الجسدي، وجذر (رَبَبَ) هو إنشاء الشّيء حالًا فحالًا إلى حدّ التّمام بمفهوم النّموّ الجسدي والمعنوي معًا[٢].

ويمكننا أن نخلص من كلّ هذه المعاني بالقول: أنّ التّربية بالنّسبة للموجود الحيّ تعني تهيئة الأرضيّة المساعدة لنموّ القابليّات والملكات فيه كما هو الحال في زراعة الورود والأشجار فيتغيّر من حال إلى حال أفضل.

ب- المدلول الاصطلاحي:

رأى أفلاطون أنّ التّربية ((هي إعطاء الجسم والـرّوح كلّ ما يمكن من الجمال، وكلّ ما يمكن من الكمال))[٣]، وأنها ((طرق ووسائل لتنشئة الطّفل وتكوينه وتكميله على النّحو المراد، وذلك بطريقة التّدريس والتّنشئة على الأسس العلميّة))[٤]. ورأى أرسطو ((أنّ الغرض من التّربية هو أن يستطيع الفرد عمل كلّ ما هو مفيد وضروري في الحرب والسّلم، وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال ليصل إلى حالة السّعادة))[٥]، والتّربية تتمّ عن طريق الاعتياد على المبادئ المعنيّة، وقد عرّف ابن سينا التّربية على أنّها عادة، وأعني بالعادة فعل الشّيء الواحد مرارًا وزمانًا طويلًا في أوقات متقاربة.

---

(١) الدّين والمجتمع: رؤية مستقبليّة: ١١٧.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٣٣٦.

(٣) التربية:١٧٦-١٧٧.

(٤) جمهوريّة أفلاطون: ١٢١-١٢٧.

(٥) علم الأخلاق: ٢٢٥-٢٢٦.

أمّا دور كايم فقد قال: ((التّربية هي تكوين الطّفل تكوينًا اجتماعيّا))[١]، فجعل هدفها خارج الطّفل المتربّي، في حين ركّز هاربرت على ذات الطّفل المتربّي فرأى ((أنّها تكوين الفرد من أجل ذاته بأن نوقظ فيه ضروب ميوله الكثيرة))[٢].

وقد رأى جون ديوي: ((إنّها عمليّة صوغ وتكوين لفعاليّة الأفراد ثمّ صبّ لها في قوالب معيّنة، أي: تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة))[٣]. ورأى أنّ البيداغوجيا علم التّربية، ويعبّر عنه أحيانًا بأنّه (النّظريّة العلميّة للتّربية).

ويقول الغزالي: ((ومعنى التّربية، يشبه فعل الفلّاح الّذي يقلع الشّوك، ويخرج النّباتات الأجنبيّة من بين الزّرع؛ ليحسن نباته ويكمل ريعه))[٤].

ويمكن أن نستنتج من هذه التّعريفات أنّ هناك ثلاثة فروع للنّظريّات التّربويّة، الفرع الأوّل يبحث في الجانب التّنموي وإزالة التّخلف. والفرع الثّاني يبحث في الجانب التّثقيفي للفرد، وتطوير إمكانيّته إلى أقصى الحدود. أمّا الفرع الثّالث فيبحث في الجانب الخارجي أي: في علاقات التّربية مع المجتمع فيكون هدفها تدريب المواطن النّافع.

والتّربية في وقتنا الحاضر تهدف إلى تربية شاملة متّسقة تؤدّي إلى تكوين إنسان كامل لا طرف إنسان، تشمل كلّ ما يؤثّر في بناء الأخلاق، سواء صدر من نفس الإنسان أم من غيره؛ أي: أنّها أصبحت متأثّرة إلى حدّ بعيد بثقافة المجتمع الذّي تحيا في كنفه، ومؤثّرة فيه في آن.

---

(١) التربية العامّة: ٢٣.

(٢) م. ن: ٢٢

(٣) الديمقراطية والتربية:١٢.

(٤) رسالة أيها الوالد:٣٧.

ومهما عرضنا لتعريفات جاء بها الفلاسفة والتّربويّون، قديمة كانت أم حديثة، فإنّنا لن نجد فلسفة تربويّة أفضل ممّا جاء به الإسلام؛ لأنّها تهدف إلى إعداد الإنسان المسلم للدّنيا والآخرة إعدادًا متكاملًا من جميع نواحيه المختلفة في ضوء المبادئ الّتي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التّربية الّتي تتّفق معها. فدين الإسلام لم يقتصر على مجرّد الدّعوة للإيمان بالله فحسب؛ بل جاء للنّاس بمنهج تربوي كامل وشامل، لشتّى فروع التربية الَّتي تستند إليها المجتمعات الإنسانيّة، في عمليّة التقدّم والتطوّر نحو الأفضل، وفي سبيل تحقيق ما يصبو إليه أفرادها من سعادة ونجاح، وطمأنينة وسلام .

ت- معنى التّربية ومفهومها في نهج البلاغة:

لو عدنا إلى كتاب نهج البلاغة لوجدنا أنّ مفردة (تربية) قد وردت بمعانٍ ووظائف مختلفة وكثيرة، نشير إلى بعض منها:

- بمعنى (الرّب) كما جاء في الخطبة الغرّاء لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا، ...))[١]، وقوله عليه السلام : ((وَلكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ))[٢]. فاشتقّت كلمة (مربوبون) من (رب)، وجاءت بمعنى الّذين رُبّوا أو تربّوا.

- بمعنى (الأدب)، وجاءت بمعنى التّربية نفسها ومعادلة لها، وغالبًا ما ترافقت مع صفة (الحُسن) من قبيل: (حسن الأدب)، أو (يحسن أدبه) كما في قول الإمام عليه السلام : ((أيّها النّاس! تولّوا من أنفسكم تأديبها))، و((حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلّمه القرآن))[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ٨٢.

(٢) م. ن: خطبة: ٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣٧٠، ٣٣٨،٣٩٥، ٣٩٩.

- بمعنى (الصّنع)، كما في قول الإمام عليه السلام في مقطع من رسالته إلى معاوية: ((فإنّا صنائع ربّنا، والنّاس بعد صنائع لنا))[١]، و((ابْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا ...، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ))[٢]، وتعدّ عبارة (لطيف صنعته) من موارد استعمال مفردة (الصّنع).

- بمعنى (الهداية)، ((ولأنّ كلّ علم هداية، وأيضًا كلّ هداية فهي من اللّه تعالى، إذًا فكلّ علم يكتسبه الإنسان فهو بتعليم إلهيّ))[٣]؛ بناء عليه فإنّ التّعليم والتّربية هما نحوُ هداية تحصل في ظلّ ربوبيّة اللّه تعالى؛ لذا فمن حيث أنّ الهداية تتضمّن نحوًا من الدّلالة والإرشاد، فيمكن عدّها متقاربة مع التّعليم، وتندرج ضمن مفردات التّربية. وقد تكرّر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام التّأكيد على هداية النّاس وسبلها، ومن ضمن ما جاء في وصفه لأساليب الهداية: ((فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، ... وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ))[٤].

- وهناك موارد كثيرة في نهج البلاغة جاءت فيها بمعنى (التّزكية)، وبعض مشتقّاتها، من بينها هذا المقطع من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام : ((أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ ... سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ))[٥].

يقول ابن أبي الحديد في شرح هذا المقطع من الخطبة ((أنّ معنى الزّكاة يحتمل

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١٧٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ١٦٥.
(٣) تفسير الميزان:٥/ ٤٧١.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ١٥٦.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢١.

أمرين: أحدُهما: ما ورد في الأخبار النّبويّة أنّ سبّ المؤمن زيادة في حسناته، والثّاني: أن يريد به أنّ سبّهم لي لا ينقص في الدّنيا من قدري، بل أزيد به شرفًا وعلوّ قدر وشياع ذكر، وهكذا كان، فإنّ اللّه تعالى جعل الأسباب الّتي حاول أعداؤه بها الغضّ منه عللًا لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها))[١].

- وجاءت بمعنى (الإصلاح)، فمن المفردات الّتي يمكن عدّها قريبة من مفهوم التّربية هي مفردة الإصلاح. والإصلاح من مصدر الصّلاح. وقد جاءت (أصلح) في معجم نهج البلاغة بمعنى: جعله صالحًا)، (زيّنه وحسّنه)، ومصدرها (إصلاح). ومن ضمن المواضع الّتي أشار إليها أمير المؤنين عليه السلام إلى إصلاح النّفس: ((ولكِنّي لا أرى إصلاحَكُم بِإفسادِ نَفسي، - أي: بإفساد ديني عند اللّه تعالى. ويستأنف قائلًا:- إنّي عالم بما يصلحكم))[٢].

فكلمة (إصلاح) هي إلى حدٍّ ما بنفس معنى (تزكية)؛ لأنّ التّزكية تعني (التّطهير)؛ ولأنّ التّزكية هي في بعض النّواحي بمعنى بعض وظائف التّربية؛ لذا يمكن عدّ كلمة (إصلاح) بنفس معنى (تربية)[٣].

المبحث الثّاني: الأساليب المتعلّقة بالتّربية العقليّة من منظور قرآني

اهتمّ الإمام عليّ عليه السلام بسبل تنمية العقل استكمالًا لأهداف القرآن الكريم ولرسالة الأنبياء في الاهتمام بفتح كنوز النّاس العقليّة وهدايتهم على ضوئها، وارتفع بالعقل ومكانته إلى أرقى مستوياته، فمَن لا عقل له لا دين له، والعقل هو مرجعيّة التّقييم للاختيار واتّخاذ القرارات، والتّمييز بين الحقّ والباطل، وإذا ما استند العقل إلى معلومات يقينيّة تمكّن من إصدار الأحكام الصّحيحة.

---

(١) ينظر: م. ن: ١١١.

(٢) م. ن: ١٠٣-١٠٤.

(٣) ينظر: التّربية والتّعليم في نهج البلاغة: ٢٤- ٢٩.

وقد زخر النّهج بالكثير من الأساليب التّوجيهيّة على صعيد التّربية العقليّة، نذكر منها:

١- الإيمان بالغيب:

اعتبر الإمام عليّ عليه السلام أنّ الإيمان بالغيب هو ضرورة عقليّة وعلميّة، وقد أُمرنا أن نؤمن به؛ لأنّه من تمام الإيمان وواحد من أركانه، وإيماننا به نابع من طلاقة قدرة اللّه سبحانه وتعالى. والغيب ((هو خلاف الشّهادة، وينطبق على ما لا يقع عليه الحسّ، وهو اللّه سبحانه تعالى وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا ومنها الوحي))[١]، وقد أشار القرآن الكريم إلى الغيب بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٣-٤].

ولكنّ اللّه، وإن كان غيبًا بالنّسبة لنا، إلّا أنّه في عقيدة الإمام هو الحقيقة الوحيدة الفاعلة في الوجود، وهو جزء لا يتجزّأ من معادلات عالم الشّهادة كما يُفهم من قوله عليه السلام : ((وأشهد أن لا إله إلّا اللّه إيمان وإخلاص وإذعان))[٢]، فالإيمان بالغيب هو مسار يهدي الإنسان خلال حياته في هذه الدّنيا، كما هو الهدف النّهائي المؤدّي إلى الرّضا عن سلوك الإنسان، والّذي ينتج عنه ثواب جنّة الخلد؛ لذلك فهو ضرورة تربويّة أيضًا، وكلّ تربية لا تلحظ وجوده وقدرته جلّ وعلا وما يترتّب عليهما فهي تربية واهمة غير واقعيّة تؤدّي بصاحبها إلى مجانبة الحقيقة والواقع.

وقد زخر النّهج بالخطب الّتي تؤكّد هذا الاعتقاد وتحثّ النّاس على الأخذ به، كما في قوله عليه السلام : ((كلّ شيء خاشع له وكلّ شيء قائم به... من تكلّم سمع نطقه،

---

(١) تفسير الميزان: ١/ ٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ١٩٥.

ومن سكت علم سرّه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه))[١]، ففي هذه الأوصاف دلالة على حضور اللّه الفاعل في عالم الوجود، فهو محيط بكلّ شيء وله القدرة والغلبة والقدرة على كلّ شيء. من هنا يدعو الإمام علي عليه السلام النّاس إلى حفظ كتابه وتأدية حقوقه، والإخلاص له وطلب الحاجات منه، وأن لا يخدعهم عدم رؤيته من توهّم عدم قدرته فيقول عليه السلام : ((واعلموا عباد اللّه أنّه لم يخلقكم عبثًا ولم يرسلكم هملًا... فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه. فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب. وإنّه لبكلّ مكان وفي كلّ حين وأوان ومع كلّ إنس وجانّ))[٢]. وهذا ما يتطابق مع ما أنزله اللّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ *فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥- ١١٦].

٢- طلب العلم الحقّ:

إنّ تنمية القوى العقليّة للإنسان لا تكون إلّا في طلب العلم، والعلم غذاء العقل، به ينشط ويقوى على ممارسة الوظائف العقليّة؛ لأنّه ((ليس شيء أحسن من عقل زانه علم))[٣]، كما يقول الإمام علي عليه السلام ، و((العلم لقاح المعرفة))[٤]، والمعرفة طريق الهداية إلى الصّواب، وقد كانت أولى آيات القرآن الكريم الّتي نزلت على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله تقرّ بمسألة أساسيّة، وهي أهمّيّة العلم وعلوّ مرتبته الّتي ظهرت بظهور التّجلّي الحاكي للأكرميّة؛ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١- ٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ٢٦٤.

(٢) م. ن: خطبة: ١٩٥.

(٣) مستدرك نهج البلاغة: ٢٦٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣.

وقد دعا الإمام عليه السلام الإنسان أن يتعلّم ويوسّع مداركه؛ ليميز الحقّ من الباطل، والخبيث من الطّيب، فمقام الإنسان ورفعته ليس بإنسانيّته فقط؛ لأنّه ربّما يتحوّل مع إنسانيّته إلى شيطان، بل إلى ما هو أرذل منه. أمّا الإنسان المتّصف بالعلم المقرّب من اللّه سبحانه وتعالى يرتقي إلى مقام الإنسانيّة المكرّمة بتكريم خاصّ، أهّله لمشاهدة الحقّ بالقلب؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ [الأنفال:٢].

وشدّد الإمام عليه السلام على طلب العلم في سبيل طريق اللّه وللّه؛ ليكون بذلك منهجًا عمليًّا وسلوكًا إجرائيّا لحقيقة الإخلاص الّتي لا يريد بها إلّا وجهه الكريم. وعليه يبقى طالب العلم في سبيل اللّه إلى أن يرجع إلى المكان الّذي خرج منه. وما ذلك ببعيد؛ لأنّه طريق من الطّرق الّتي يرتقي الإنسان بها إلى معنى إنسانيّته المخلوق لها.

وقد أكّد عليه السلام على طلب العلم بقوله: ((فاطلبوا العلم في مظانّه واقتبسوه من أهله، فإنّ تعلّمه للّه تعالى حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح))[١]، فقد أوجب طلب العلم؛ لما فيه من الكمال بقيد القربة للّه تعالى الموصل لعالم القرب، فإذا أراد الإنسان التّقرّب، فعليه تحقيق المعنى القربي، ولا يتحقّق كمالًا إلّا بالعلم من مصادره الصّحيحة، ومكامنه الصّحيحة الموصلة إلى الهدف والغاية في رحلة السّير الوجوديّة، لذلك أصبح العلم أوجب من المال لما يحقّقه من مراتب إنسانيّة، ((ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال))[٢]. وهذا ما يتوافق مع قول اللّه تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِه﴾ [عبس:٢٤]، وقد قال الإمام الصّادق عليه السلام تأويلًا لهذه الآية: إنّ طعامه هو علمه ممّن يأخذه، فإذا لم يكن العلم من مظانّه

(١) الأمالي، الشّيخ الطّوسي:٤٨٨.
(٢) الكافي: ١/ ٣٠.

الصّحيحة فإنّه يوصل صاحبه بعيدًا عن برّ الأمان إلى مقام البعد والعياذ باللّه.

وطلب العلم والمعرفة يدفع إلى معرفة خفايا النّفس وتهذيبها، وأمّا من لا ينفعه طلب العلم تهذيبًا ومعرفة، ولا يفيده تقدّمًا في الإخلاص يتبدّل العلم عنده من رحمة ليكون نقمة وحجّة عليه. فالعلم الّذي نستفيد منه على نحو الواقعيّة والتّأثير العملي المنهجي في حياتنا أنًا فآن، والّذي يشكّل صورة النّفس والقلب الملكوتيّة هو الّذي يفيدنا في الخلاص والخروج من إنّيّة النفس وجبروتها وفرعونيّتها.

وقد دعا الإمام عليه السلام إلى قرن العلم بالعمل، لا من أجل الاستفادة منه فحسب، بل من أجل رسوخه في النّفس، وقد أشار إلى ذلك في أكثر من موضع. يقول عليه السلام : ((العلم مقرون بالعمل: فمن عَلِم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه))[١].

لقد كان الإمام عليه السلام يحثّ الناس على طلب العلم والتنمية العقليّة وتطوير ذواتهم بشكل مستمر منذ مقتبل العمر وذلك لسببين: عبّر عن السّبب الأوّل بقوله عليه السلام : ((قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها شيء قَبِلته))[٢]، والثّاني: أنّه مع تقدّم العمر يكون الذّهن أكثر انشغالًا بقضايا الحياة وهمومها، ما يصرفه عن حسن طلب العلم.

كما أكّد على أهمّيّة إثارة رغبة المتعلّم في طلب العلم، وابتكار أساليب تثير رغبة المتعلّم قبل المباشرة بتعليمه؛ لأنّ هناك علاقة بين الحالة النّفسيّة للمتعلّم وبين استيعابه، من هنا دعا إلى مراعاة إقبال القلب في عمليّة التّعلّم، كما يُفهم من قوله عليه السلام : ((إنّ للقلوب شهوة، وإقبالًا وإدبارًا، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإنّ

(١) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ٣٦٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦٦.

القلب إذا أكره عمى))[١]، فلا جدوى إذن مِن تقديم العلم في حال نفور القلب وعدم إقباله.

٣- التّفكّر:

رأى الإمام عليه السلام أنّ التّفكير هو أحد العوامل الرّئيسة في ديناميكيّة العقل وزيادة إنتاجه، ومن هنا اهتمّ بتنمية هذه الملكة عند الإنسان، واعتبرها الهدف الأسمى لعمليّة التّربية والتّعليم، ودعا إلى ضرورة أن يتمتّع الإنسان بعمق في التّفكير، وسعة في الاطّلاع حتّى تكون النّتائج يقينيّة بحيث لا يتطرّق إليها الخطأ أو الزّلل.

ورأى أنّ من أهمّ ما يساعد على نموّ العقل هو تعويد النّفس على التّأمّل والتّفكّر فيما يُعرض عليها من حقائق ومعلومات؛ ((فإنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعِبر))[٢]، و((لا علم كالتّفكّر))[٣].

ولو تأمّلنا في نصوص القرآن الكريم لوجدنا العديد من الآيات التي تدعو إلى التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر، وتحثّ على إعمال العقل ودفعه إلى التّأمّل في الأمور والموجودات، واستعماله في جميع شؤون الحياة، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]، فقد أنزل الله القرآن وأمرنا بتدبّره والتّفكّر في آياته وفهمها لتستقيم بها حياتنا وليس مجرّد تلاوته أو حفظه فقط. وفي ذلك قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

وقد ركّز الإمام عليه السلام على أسلوب التّفكّر في التّاريخ وفي مصير الأسلاف والأقوام الماضية عن طريق ضرب الأمثال للاعتبار والتّدبّر، وقد ذكر لنا القرآن

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/ ١١.
(٢) م. ن: ٩/ ١٥٨.
(٣) ميزان الحكمة: ٩/ ٢٢٩.

الكريم قصصًا وحكايات تاريخيّة كثيرة، هدفها التّعليم والتّربية والعبرة: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦].

فقد اتّخذ الإمام عليّ عليه السلام من أسلوب التّفكّر بأحوال الماضين وما تعرّضوا له من نوازل الأيّام، وطوارق الدّهر وما ألمّ بهم من نكبات وآلام، وكيف أنّ أموالهم لم تغنِ عنهم شيئًا حين حلّ بهم الموت وسيلة لتوجيه أصحابه وإرشادهم ووعظهم وإبعادهم عن الزّيغ والانحراف وقد عبّر عن ذلك في قوله عليه السلام : ((... فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلاَتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ))[١]، كما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:١٠٩]، وفي وصيّته لابنه الحسن يؤكّد هذا الأسلوب ويعتبره من أهمّ واجبات الوالد تجاه ابنه فيقول عليه السلام : ((أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، ... فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ))[٢].

ويكون التّفكّر بالنّفوذ إلى غور المسائل وعدم الاكتفاء بالمعرفة السّطحيّة،؛ يقول عليه السلام : ((من فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم))[٣].

ويكون كذلك بعدم التّورّع عن السّؤال: ((لا يستحينّ أحد إن سُئل عمّا لا

---

(١) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده: خطبة: ١٩٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٦٧.
(٣) م. ن:١٨/ ١٤٢.

يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحينّ أحد إذا لم يعلم شيء أن يتعلّمه))[١]، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، شرط أن يكون السّؤال بنيّة التّعلّم والاستفسار، لا المجادلة والاستكبار، ويقول عليه السلام في هذا الشّأن: ((سل تفقّهًا ولا تسأل تعنّتًا))[٢].

٤- النّقاش والمشاورة:

من الأساليب المهمّة الّتي تساهم في تنمية العقل هي المشورة والنّقاش مع الآخرين، وقد حظيت مسألة المشورة بأهمّية بالغة في التّعاليم الإسلاميّة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وبغضّ النّظر عن الوحي الإلهيّ، ورغم قدرته الفكريّة الكبيرة الّتي تؤهّله لتسيير الأمور وتصريفها من دون حاجة إلى مشاورة أحد، إلّا أنّه فعل ذلك وشاور أصحابه في أمور المسلمين العامّة، وكان يقيم لآراء مشيريه أهمّيّة خاصّة ويعطيها قيمتها اللّائقة بها؛ وذلك حتّى ينمّي فيهم قواهم الفكريّة والعقليّة ويشعر المسلمين بأهمّيّة المشاورة وفوائدها، فيتّخذوها ركنًا أساسيًّا في برامجهم.

وقد سلك الإمام عليه السلام المسلك نفسه، فكان يدعو إلى مشاورة الآخرين ومناقشتهم من أجل الاستفادة من علومهم وتجاربهم، فقد جاء في وصيّته لمالك الأشتر: ((وأكثر مداراة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك،

(١) نهج البلاغة:٤/ ١٨.
(٢) الكافي:٦/ ٣٨١.

وإقامة ما استقام به النّاس قبلك))[١]، وقد رغّب أصحابه في المشورة قائلاً: ((من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرّجال شاركها في عقولها))[٢]؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨].

المبحث الثّاني: الأساليب المتعلّقة بالتّربية النّفسيّة من منظور قرآني

أولى الإسلام النّفس الإنسانيّة عناية كبرى؛ لأنّها محور الحركة والحياة، ومنطلق الخيارات، وسبب الأعمال، وعمل على توجيهها وإصلاحها، وقرّر عباداته لتهذيبها، وقد أثبت العلم الحديث أهمّية فهم النّفس البشريّة ورسم الضّوابط الوقائيّة لتقويمها والحلول العلاجيّة لإصلاحها، حيث تفرّع عن دراسة النّفس علم النّفس بأقسامه المختلفة، كعلم النّفس العامّ، وعلم النّفس التّربوي، وعلم النّفس الاجتماعي، وعلم النّفس الأسري، وجميعها ينطلق من مفاصل معرفة مفاصل النّفس الإنسانيّة لتوجيهها نحو الأفضل ومعالجة الأمراض النّاشئة عن ظروفها المختلفة.

ومن الأساليب الّتي اعتمدها الإمام عليه السلام للمساهمة في توجيه النّفس وتخليصها من أمراضها:

١- ذكر اللّه تعالى:

يركّز الإمام عليّ عليه السلام في منهجه التّربويّ على ذكر الله تعالى في كلّ وقت وحال، ويعدّ هذا الذّكر أساسًا لجميع الآثار التّربويّة والمعنويّة والنّفسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، ويشير القرآن الكريم إلى الأثر التّربوي والرّوحي للعبادة وللصّلاة على وجه الخصوص، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٧/ ٤٧.
(٢) م.ن: ١٨/ ٣٨٢.

وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ومن خواصّ الذّكر جلاء القلب وتهيئته بما يليق بصاحبه، فذكر الله يجلو القلب ويصفّيه ويزكّيه ويطهّره، ويعدّه لإجراء الحكمة فيه وعلى لسانه، وفي ذلك يقول الإمام عليه السلام : ((إنّ الله تعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب، وتسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به المعاندة...))[١]، وقد بيّن الإمام عليه السلام في هذا الكلام الأثر الغريب لذكر الله في القلوب، حتّى أنّها قد تستطيع التّخلّص من بعض الأمراض النّفسيّة الّتي تعاني منها. وهذا ما يتوافق مع قول اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الذّاكرين للّه تعالى بأبلغ ما يستبين أمر الذّاكرين على التّمام، وقد شغلهم ذكر الله تعالى عن كلّ أحد من الأجسام والصّور والخيالات والخواطر الفاسدة: ((وإنّ للذّكر أهلًا أخذوه من الدّنيا بدلًا، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيّام الحياة، ويهتفون بالزّواجر عن محارم اللّه في أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه))[٢].

وقد ذكر القرآن الكريم صفات أهل الذّكر بحسب قوّتهم الاستعداديّة وظروفهم الحياتيّة، لا يشغلهم شاغل ولا يصرفهم صارف عن ذكرهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، تحقّق أهل الذّكر بالإيمان لذكر اللّه تعالى لهم بهذه الصّفة إذا اتّصفوا بها وكانوا مكثرين بالمعنى الّذي أُريد منهم وهو قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١]، والكثرة هنا ليست من جهة العدد بل الأوفق للكثرة وأوسع من العدد السّعة الزّمانيّة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/ ١٧٦.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٠.

بمعنى دوام الذّكر على قدر وسع الزّمان العمري؛ ليكون من أنواع الذّكر الصّارف عن غيره[١].

فالذّكر إذًا له آثار جليلة وعظيمة على الإنسان، فهو حياة القلب ونوره وشفاؤه من الغفلة والنّفاق، وصلاح القلب وأمانه بدوامه وبقائه. وقد أكّد الإمام عليّ عليه السلام على ذلك بقوله: ((من عمّر قلبه بدوام الذّكر حسُنت أفعاله في السّرّ والجهر))[٢].

٢- التّقوى:

اعتمد الإمام عليه السلام في مجال التّربية النّفسيّة على التّقوى؛ لأنّها المثل الأعلى للحياة؛ ولأنّ الكرامة الحقيقيّة للإنسان تكمن في التّقوى، فملاك القرب من اللّه تعالى يدور مدار التّقوى لا مدار مقامات الدّنيا ومزاياها المادّيّة الفانية من مال وجاه وجمال أو حسب ونسب، إذ إنّ عامّة النّاس يسعون جاهدين في طلبها ليتفاخروا بها على غيرهم فيرون أنّ الشرف والكرامة في هذه المزايا الوهميّة الّتي توقعهم في مهابط الهلكة والشّقوة. في حين أنّ الشرف الحقيقي الّذي يؤدّي بالإنسان إلى سعادته الحقيقيّة وحياته الطيّبة الأبديّة في جوار ربّ العزّة، إنّما هو بتقوى الله سبحانه وتعالى، وهي الوسيلة الوحيدة إلى سعادة الدّارين: الدّنيا والآخرة. يقول اللّه تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وإذا كانت التّقوى تعني وقاية النّفس ممّا يُخاف، فإنّها في نظر الإمام عليه السلام لا تعني الخوف وتجنّب النّاس والانزواء عن المجتمع، بل هي في نظر الإمام قوّة روحية

---

(١) ينظر: قطرة النّور من بحر الجلال: ١٧٤- ١٧٥

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ١٣٠٤.

تتولّد من الحذر المعقول والمنطقي من الذّنوب. فعندما يقي الإنسان نفسه ممّا يُخاف، ويحفظها ممّا يؤذي ويضرّ ويؤثِم، فإنّه سيجد فيها من البهاء والكمال والعزة والقوة واللذة والسّرور ما لا يقدّر بقدر، وكيف لا؟ وهو مستغرق في حياة دائمة لا زوال لها، ونعمة باقية لا نفاد لها، ولا ألم فيها ولا كدر، وخير وسعادة لا شقاء معها، وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُون﴾ [المائدة:٦٩]، والتّقوى كما عبّر عنها الإمام عليه السلام تهب الإنسان البصيرة النّيّرة والرّؤية الواضحة، وتحرّره من أسر الهوى وتملّكه زمام نفسه، كما تمدّه بعون الله وتسديده، فيقول عليه السلام : ((فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء غشا أبصاركم...))[1]؛ لذلك فإنّ أقل ما ينبغي لهذا الإنسان أن يفعله، هو أن يسلّم للخالق البارئ، ويتّقي غضبه، ويحذر عقابه، بإطاعة أوامره وترك نواهيه.

٣- الزّهد:

لقد اعتمد الإمام عليه السلام على الزّهد في التّربية، ورأى أنّ التّربية النّاجحة هي الّتي تُعدّ الإنسان للحياتين معًا وليس للحياة الدّنيا فقط. ولعلّ الصّفة الأرقى الّتي يشير إليها الإمام عليه السلام في هذا الشّأن، هي الإعراض عن الحياة الدّنيا المحدودة الفانية ممتثلًا لقول اللّه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، فطلّقها ثلاثًا وأخرجها من النّفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر؛ لأنّه لا يعتقدها قرارًا، ولا يرجو فيها مقامًا، ودعا إلى الزّهد فيها؛ وذلك من أجل بناء النّفس الشّديدة الصّلبة في طلب الحقّ، والنّفس

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٨٨.

المطمئنّة حين ترجع إلى ربّها، فترجع راضية مرضيّة؛ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

والمقصود بالزّهد عند الإمام عليه السلام ليس ترك الدّنيا والانعتاق من أسرها واحتقارها وعدم الاهتمام بها، بل تناولها برفق، وعدم الاغترار بها، والتّعامل معها على قدر قيمتها الحقيقيّة؛ لذلك دعا الناس إلى أن يكونوا كائنات سامية، تجمع الدّنيا إلى الآخرة، فلا تمعن في تلك إمعانًا يلهيها عن الاستعداد لهذه، ولا تغرق في هذه إلى حدّ يعطّل فيها شخصيّة الإنسان. ويظهر ذلك في قوله عليه السلام لبعض أصحابه: ((... واعملوا للجنَّة عملها، فإنَّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازًا لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار، فكونوا على أوفاز ... وقَرِّبُوا الظهور للزيال...))[1].

فالإمام عليه السلام لا يشجّع الانقطاع عن الدّنيا والاستغراق في العمل للآخرة وحدها، بل يحبّذ العمل للدّنيا والإقبال عليها، والتّمتع بطيّباتها ولكن من غير إسراف يقعد الإنسان عن العمل لآخرته والاستعداد لها، ويأمر بالعمل للآخرة ولكن في غير إعنات.

لقد حاول أن يظهر لأبناء أمّته تقلّب الدّنيا وعدم قرارها، ومكرها وخداعها لا ليتّخذوا من الحياة موقفًا سلبيًّا يشلّ فيهم الرّغبة في الحياة، ويعطّل إمكانات الخلق والإبداع عندهم، ويحيلهم إلى أناس واهنين تطغى عليهم غرائزهم فيتّبعون هواهم وينسون الآخرة. لقد حاول أن يريهم تقلّب الدّنيا وعم قرارها، ومكرها وخداعها ليعرّفهم بواقعها فيزهدوا فيها الزّهد الّذي عبّر عنه عليه السلام بوصفه : ((أيّها النّاس، الزّهادة قصر الأمل، والشّكر عند النّعم، والورع عند المحارم، فإن عزب

(١) م. ن: ٨/ ٢٦٩.

ذلك عنكم، فلا يغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النّعم شكركم))[١].

نستنتج من هذا القول أنّ الزّهد في نظر الإمام عليّ عليه السلام يقوم على ثلاث ركائز أساسيّة، وهي: قصر الأمل، والشّكر عند النّعم، والورع عند المحارم. فعندما يعي المرء واقعه ويتذكّر أنّ الموت مدركه ولو بعد حين، فيمسكه هذا الوعي عن الظّلم وينتشل من نفسه المطامع والأحقاد والشّرور، وعندما يكون شكره بالفعل لا باللّسان، فلا يمسك يده عن فعل الخير، واصطناع المعروف للنّاس؛ لأنّه يعي أنّ ما ينفقه في سبل الخير باق له عند االله، وعندما يتورّع عن المحارم؛ لأنّه يفهم الدّنيا على واقعها، فهذا هو الزّاهد الحقيقيّ الّذي ينظر إلى الأمور نظرة واقعية، فلا يملك عليه لبّه فوات ما فاته، ولا يعمي بصيرته عن واقع حياته فرحه بما أوتي، وهذا هو الزّهد الّذي دعا إليه الإمام عليه السلام أصحابه ((للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يرمّ معاشه، وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلّ ويجمل...))[٢]، وهو موقف يوازن بين حاجات الإنسان الجسميّة والرّوحية.

وإنّنا لنجد الكثير من الشّواهد على الزّهد في كتاب نهج البلاغة، كما في قوله عليه السلام : ((الزّهد ثروة))[٣]، و كما في قوله عليه السلام في عهده لمالك الأشتر واليه على مصر: ((وأمره أن يكسر نفسه من الشّهوات ويَزَعها عند الجمحات، فإن النّفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم الله))[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٢٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ٧٤/ ٤٠٢.
(٣) م. ن: ٦٧/ ٣١٦.
(٤) م. ن: ٣٣/ ٦٠٠.

٤- تزكية النّفس:

تؤكّد كثير من الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة على ضرورة أن يزكّي المؤمن نفسه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]، و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩- ١٠] من هنا اهتمّ الإمام عليه السلام اهتمامًا خاصًّا بالتّزكية؛ لما لها من أثر في تنمية النّفس الّتي تعتبر جوهرًا ثمينًا، وأمرًا ملكوتيًّا جاء من عالم الكمال، فهي منشأ كلّ الفضائل والقيم الإنسانيّة؛ لذلك وجب تربيتها على الأخلاق والقيم، كما في قوله عليه السلام: ((إنّ النّفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها، ومن ابتذلها وضعها))[١]، والنّفس الّتي يمدحها الإمام عليه السلام في هذا المورد هي المرتبة العليا من النّفس في بعدها الإنساني الّذي هو أسمى مراتب الإنسانيّة وأرقاها، أمّا النّفس الّتي ذمّها الرّسول صلى الله عليه وآله في قوله: ((أعدى عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك))[٢]، فإنّما يذمّ البعد الحيواني منها. وبذلك يكون للنّفس مرتبتان: مرتبة دنيا ومرتبة عليا؛ والنّفس بمرتبتها الدّنيا هي حيوانيّة الميول، أمّا بمرتبتها العليا فهي إنسانيّة ملكوتيّة طاهرة كاملة، إلّا أنّها تحتاج إلى التّربية والتّهذيب؛ لتصل إلى كمالها.

وقد أكّد القرآن الكريم على أهمّيّة معرفة النّفس ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، فإذا عرف الإنسان نفسه حقّ المعرفة، وأدرك أنّه أتى من عالم الكمال، عالم القدرة والعلم والمعرفة والرّحمة والإحسان والخير والعدالة، لا بدّ له أن يسعى إلى الكمال والوصول إلى مقام القرب الإلهي، حتّى يتلاءم مع العالم الّذي أتى منه؛ لذلك أكّد الإسلام على معرفة النّفس كمقدّمة للتّزكية، وركّز الإمام عليّ عليه السلام على هذا الجانب، فقال: ((معرفة النّفس أنفع المعارف))[٣]. فالإنسان الّذي يعرف

---

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٣٢٢.

(٢) غرر الحكم: ١٣٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢/ ٧١٢.

مقامه الواقعيّ في عالم الخلقة يجب عليه أن ينمّي بعده الإنساني لا الحيواني ويلاحقه بالتّزكية، ويربّي فيه القيم والفضائل حتّى يصل إلى الكمال المنشود ويكون لائقًا بحمل الأمانة وخلافة اللّه على الأرض، واستحقاق الجنّة في الآخرة؛ ولذلك أراد الإمام عليه السلام من أصحابه أن يعتبروا التّزكية من أولويّاتهم.

وفي وصفه للمتّقين، يعتبر الإمام عليه السلام أنّ من أهمّ فضائلهم انشغالهم الدّائم بتزكية أنفسهم، فيقول عليه السلام: ((لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكّي أحد منهم خاف ممّا يُقال له. فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي من نفسي))[1].

٥- التّحذير من اتّباع الهوى وطول الأمل:

حذّرنا الله تعالى من اتّباع الهوى في كثير من آيات القرآن الكريم، وأشار إلى أنّ المتّبع لهواه يهبط إلى الحدّ الّذي تصبح فيه نفسه هي المعبودة والمطاعة وليس الحقّ عزَّ وجلَّ، إذ قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]؛ لذا كان أمر الله وحكمه واضحًا وصريحًا بضرورة تجنّب هوى النَّفس وطاعتها؛ لأنّها لن تورث الإنسان إلّا العذاب والضلال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصّدد مخاطبًا جمهور المسلمين: ((أيّها النَّاسَ إِنْ أَخْوَف مَا أَخافُ عَلَيكُمْ اثنَتانْ: إِتّباعُ الْهَوى، وَطول الأَمَلْ، فأَمَّا اِتِّباعُ الْهَوَى

(١) م. ن: ١/ ٢٩٣.

فَيَصُدّ عَن الحَق وَأمَّا طول الأمَل فَيُنسي الآخِرَة))[1]، فالإمام عليه السلام إنّما يريد من هذا الكلام التّحذير من اتّباع الهوى والانجرار وراء الشّهوات والرّغبات الّتي تذهب بالإنسان إلى الهلاك وخسارة الدّنيا والآخرة، وهذا ما جعله خائف على شيعته الّذين يحبّهم من أن يتّبعوا أهواء أنفسهم؛ كون النّفس لها مآرب، ومطالب تخالف ما أراده الله لنا. فعلى الإنسان أن يجاهد النفّس ولا يتركها على هواها وأن يتجنّب طول الأمل فلا يقضي الوقت غارقًا في الأحلام وما يرجو حصوله منها في المستقبل، فينشغل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وينسى الآخرة، بل عليه أن يعمل كلّ ما بوسعه من خير وتقوى في دار الدّنيا الفانية لدار الآخرة الباقية الّتي هي يوم الحساب.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٣١٨.

الخاتمة

وفيما يأتي أهمّ النّتائج الّتي توصل إليها البحث:

اهتمّ الإمام عليّ عليه السلام اهتمامًا بالغًا بالتّربية المنبثقة من القرآن الكريم والمنهج الإسلامي الأصيل، وطبّقها وأعطاها مكانتها الطّبيعية في حياة الأمّة الإسلامية، فكان لها الأثر الكبير في تهذيب النّفس وتزكيتها وحثّها على التّفكّر والتّدبّر؛ لتتحرّر وتنقاد إلى صاحبها بدل أن تنقاد إلى أهوائها وملذّات ومغريات الدّنيا، وتغرق في اللّحظة المادّيّة المعاشة ما يشكّل حاجزًا أمام سموّها ومستقبلها الدّائم، فعمل على تزويدها بالأسس السّليمة من القيم الإنسانيّة والمعايير العقليّة والنّفسيّة، لتفوز بطاعة اللّه والسّير في سبيله، وسلوك سبيل السّعادة في الدّارين: دار الدّنيا ودار الآخرة.

بيّن الإمام عليه السلام منزلة العقل ودوره الفعّال في عدّة مواضع، فرفع من مكانته واعتبره المظلّة الواقية من الخطأ في الإدراك، وعرض لبعض الأساليب المنسجمة مع أساليب القرآن الكريم، والّتي من شأنها أن تساعد في التّنمية العقليّة كالإيمان بالغيب، وطلب العلم، والتّفكّر، والنّقاش والمشاورة.

اهتمّ الإمام عليه السلام بتربية النّفس وتوجيهها من خلال بعض الأساليب الّتي تتلاقى مع أساليب القرآن الكريم والّتي من شأنها معالجة الأمراض النّاشئة عن ظروفها المختلفة كذكر اللّه تعالى، والتّقوى، والزّهد، وتزكية النّفس وتحذيرها من اتّباع الهوى وطول الأمل.

ختامًا، أشير إلى أنّ الإحاطة بما للخطاب القرآني في التّربية العقليّة والنّفسيّة عند أمير المؤمنين عليه السلام من آثار واضحة في صناعة الإنسان والإنسانيّة، لا يمكن أن تنهض بها عجالة كهذه العجالة الّتي بين أيدينا. إذ لم يكن غرضنا في هذه الدّراسة

غرضًا إحصائيًّا، بل كان لتلمّس ميزان هذا الأسلوب التّربوي في مخاطبة العقل والنّفس لتربية جيل فاق الأمم في كلّ مجال، وغيّر ملامح التّاريخ، الّذي سطّر آيات الحقّ ومسيرة النّور، الّذي بدّد الظّلام والظّلمات، فكانت تربية سامية شكّلت دستور حياة عجز العلماء والفلاسفة والتّربويّون أن يأتوا بمثله، وامتدّت أبعادها امتداد تاريخ البشريّة، فلم تكن حكرًا على جيل أو قرن وإنّما تصلح لكلّ الأجيال ولكلّ القرون والحضارات المبنيّة على الإيمان باللّه وبشريعته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أساس البلاغة، الزّمخشري، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٢. أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، مؤسسة دار المؤرّخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

٣. الأمالي، الشّيخ الطّوسي، تح: مؤسّسة البعثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دار الثّقافة، ١٤١٤هـ.

٤. بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

٥. تاج العروس، الزّبيدي، دار صادر.

٦. تحف العقول عن آل الرّسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧. التربية، كامل سليمان وعلي العبد الله، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٨. التّربية العامّة، رونيه أوبير، ترجمة: عبدالله عبد الدّائم، دار العلم، بيروت، ١٨٨٥.

٩. التّربية والتّعليم في نهج البلاغة، محمد رضا شرفي، ترجمة: رلى السّعيدي، دار المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة، لبنان، ٢٠٢٢.

١٠. تفسير القمّي، عليّ بن إبراهيم القمّي، دار الكتاب، قمّ، ١٤٠٤هـ.

١١. تفسير الميزان، الطّباطبائي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧.

١٢. جمهوريّة أفلاطون، أفلاطون، ترجمة: حنّا خبّاز، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧.

١٣. الدّين والمجتمع: رؤية مستقبليّة، أديب صعب، دار النّهار للنّشر، بيروت، ط٢، ١٩٥٥.

١٤. رسالة أيها الوالد، الغزالي، ترجمة: توفيق الصباغ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٥١.

١٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، محمّد أبو الفضل إبراهيم، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٥.

١٦. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، تنقيح وتصحيح: يوسف علي منصور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

١٧. شرح نهج البلاغة، محمّد عبده، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

١٨. علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، أرسطو، ترجمة: أحمد لطفي السّيّد، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٤٢.

١٩. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، دار الهادي، لبنان، ٢٠١٤.

٢٠. قطرة النّور من بحر الجلال، نبيل منير أمهز، دار المحجّة البيضاء، بيروت،٢٠١٩.

٢١. الكافي، الشّيخ الكليني، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري،ج ١، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٨هـ.

٢٢. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي، الهادي، قم، ١٤٠٥.

٢٣. لسان العرب، ابن منظور، علّق عليه: علي شرّي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٢٤. المبادئ والأساليب التّربويّة في نهج البلاغة- دراسة مقارنة،أميرة برغل، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٥. المستدرك على الصّحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٠.

٢٦. مستدرك نهج البلاغة، الطّباطبائي، مؤسّسة بلاغ المبين.

٢٧. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللّغة، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

٢٨. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، كاظم محمّدي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

٢٩. المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمّد، دار المعرفة، بيروت.

٣٠. مناهج المعرفة عند الإسلاميين، سيد كمال الحيدري، دار فراقد للطّباعة والنّشر، قم،١٤٢٦.

٣١. المنجد في اللّغة، لويس المعلوف، دار المشرق، بيروت.

٣٢. ميزان الحكمة، محمّد الرّيشهري، دار إحياء التّراث العربي، ط١، ٢٠٠١.

٣٣. النّظام التّربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الكتاب الإسلاميّ، ١٣٧٨هـ.

٣٤. وسائل الشّيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، ١٤٠٩هـ.